قاصرة عن تقديم انارة حقيقية عن ادب غسان كنفاني ، ولا تصلح ان تكون خلفية جادة له ٠

الفجيعة !

رغم اسبقية القاصة الفلسطينية سميرة عزام ، لغسان كنفاني في الكتابة ، فأنها في مجموعاتها الثلاث الاولى « اشياء صغيرة » ١٩٥٤ ، و « الظل الكبير » ١٩٥٦ ، و « قصص اخرى » ١٩٥٩ ، لم تتمكن من تمثل المنفى الفلسطيني واستيعاب علاقاته ٠ واكتفت بواقعية رومانسية من شق نافذة على الماضي ، ومن ادمان العذاب والحزن والاحساس بالفجيعة وخيبة الامل، مع الاحساس الضمني بالاثم بسبب الخروج من فلسطين ٠ ووفق هذا الاسار لم تتمكن من تمثيل دور الوعظ الاجتماعي ، او من بناء جسور جديدة بين المنفيين في الخارج واهلهم في الداخل في « رسائل اللاجئين الى ذويهم » ، وبين شطري الجسد الواحد في « مندلبوم » ٠

ورغم الفوارق بين غسان كنفاني وسميرة عزام ، فأنه في مجموعته الاولى وقع فيما وقعت فيه « اشياء صغيرة » ، فكلاهما ، لم يجد حرفته القصصية في مجموعاته الاولى ، وظلا اسيرين في السرد المباشر ، والخواطر والحكايا ، والسير الذاتية والرسائل الواقعية الرومانسية ٠ وغسان ايضا لم يتمثل المنفى في نتاجه المبكر ٠ وعندما وصل غسان الى الواقعية النقدية في « رجال في الشمس»، كانت واقعيته تثقب وتنتقد كل جدران المنفى ٠ ومع ذلك بقيت دون واقعية بلزاك في نقده وتحليله للمجتمع البرجوازي ، وذلك لضعف رؤيتها الاجتماعية ٠

ان المجموعات الثلاث « موت سرير رقم ١٢ ، ارض البرتقال الحزين، عالم ليس لنا » « لا تريد سوى ان تصرخ في وجوهنا ، ان تنزف قضيتها دون ان يكون بوسعها ان تعطي حلولا ، او حتى ان ترسم سؤالا » (٥) ٠ ولذا تنزلق « نحو السقوط والهاوية واليأس » (٦) ٠

اما عالم القصص (يستبدل هنا مجموعة عالم ليس لنا ، برواية رجال في الشمس) ، فأول ما يلفت النظر فيه « انه مشدود الى الماضي بشكل مخيف ، وانه عالم بلا تفاؤل او فرح ٠ ان الحاضر ليس فقط لا يقدم لابطال هذا العالم اي تعويض، وانما ايضا يفترسهم وباستمرار٠ اما المستقبل فانه اكثر من ثقب اسود كبير في نفسيتهم » (٧) ٠ ويرى ان المرارة تضاف الى الندم في افتراس الكيان الداخلي لابطال عالم قصص غسان كنفاني في فترة ما قبل ١٩٦٥ ٠ ان العجز اقوى من المرارة والندم ، وهو شعور خانق ومدمر ، واتخذ التعبير عنه « شكلا ضاريا في واحدة من اروع قصص غسان كنفاني القصيرة ، وهي قصة « الاخضر والاحمر» الرمزية ، من مجموعة ارض البرتقال الحزين » (٨) ٠

ان « الاخضر والاحمر » التي انتهت باقرار « لا تمت قبل ان تكون ندا ٠٠ لا تمت » ، رغم انها تنمو على حواف دائرة العجز ، فانها تعظ باختراقها وتجاوزها٠ وهي متعاكسة مع الموت امام الاصداف بحثا عن اللؤلؤ في « لؤلؤ في الطريق » من ارض البرتقال الحزين

رجال في الشمس

تتماثل الرواية في مضامينها مع مجموعتي موت سرير رقم ١٢ وارض البرتقال الحزين ، في التعبير عن الرحلة الفلسطينية في المنفى ٠ وتتمايز عنهما في فاجعة الموت الحادة في التأثير والتعبير